في الدار فيكون ايمانك وتصديقك ويقينك بكونه في الدار اقوى من تصديقك بمجرد السماع فانك
اذا قيل لك انه في الدار ثم سمعت صوته ازددت به يقينا لان الصوت يدل على الشكل والصورة
عند من سمع الصوت حال مشاهدة الصورة فقلبه يحكم بان هذا صوت ذلك الشخص وهذا
ايمان ممزوج بدليل والخطا ايضا ممكن ان يتطرق اليه اذ الصوت قد يشبه الصوت وقد يمكن التكلف
بطريق المحاكاة الا ان ذلك قد لا يخطر ببال السامع لانه ليس يجعل للتهمة موضعا ولا يقدر في هذا
التلبيس والمحاكاة غرضا الثالثة ان تدخل الدار فتنظر اليه بعينك وتشاهده فهذا
هو المعرفة الحقيقية والمشاهدة اليقينية وهو يشبه معرفة المقربين والصديقين لانهم
يؤمنون عن مشاهدة فينطوي في ايمانهم ايمان العوام والمتكلمين ويتميزون بمزية بينة يستحيل
معها امكان الخطا نعم وهم ايضا يتفاوتون بمقادير العلوم وبدرجات الكشف اما الدرجات
فمثاله ان يبصر زيدا في الدار عن قرب وفي صحن الدار في وقت اشراق الشمس فيكمل له ادراكه والاخر
يدركه في بيت او من بعد او في وقت عشية فيتمثل له من صورته ما يستيقن معه انه هو
ولكن لا يتمثل في نفسه الدقائق والخفايا من صورته ومثل هذا متصور في تفاوت
المشاهدة للامور الالهية واما مقادير العلوم فهو بان يرى في الدار زيدا وعمرا وبكرا وغير
ذلك والاخر لا يرى الا زيدا فمعرفة ذلك تزيد بكثرة المعلومات لا محالة فهذه حالة القلب بالاضافة
الى العلوم

بيان حال القلب بالاضافة الى اقسام العلوم العقلية والدينية والدنيوية والاخروية

اعلم ان القلب بغريزته مستعد لقبول حقائق المعلومات كما سبق ولكن العلوم التي تحل فيه تنقسم الى
عقلية وشرعية والعقلية تنقسم الى ضرورية ومكتسبة والمكتسبة تنقسم الى دنيوية واخروية
اما العقلية فنعني بها ما تقتضي غريزة العقل ولا يؤخذ في التقليد والسماع وهي تنقسم الى ضرورية
لا يدرى من اين حصلت وكيف حصلت كعلم الانسان بان الشخص الواحد لا يكون حادثا قديما موجودا
معدوما معا فان هذه علوم يجد الانسان نفسه منذ الصبا مفطورا عليها ولا يدري متى حصل له
ولا من اين حصل له اعني انه لا يدري فيه سببا قريبا والا فليس يخفى ان الله تعالى هو الذي خلقه والى
مكتسبة وهي المستفادة بالتعلم والاستدلال وكلا القسمين قد يسمى عقلا قال علي رضي الله عنه
العقل عقلان مطبوع ومسموع ولا ينفع مسموع اذا لم يكن مطبوع كما لا تنفع الشمس وضوء العين
ممنوع والاول هو المراد بقوله لعلي رضي الله عنه اذا تقرب الناس الى الله تعالى بانواع البر فتقرب
انت بعقلك اذ لا يمكن التقرب بالغريزة الفطرية ولا بالعلوم الضرورية بل بالمكتسبة ولكن
مثل علي هو الذي يقدر على التقرب باستعمال العقل في اقتناص العلوم التي بها ينال
القرب من رب العالمين والقلب جار مجرى العين وغريزة العقل جارية مجرى قوة البصر في العين

١٠

وقوة الابصار لطيفة تفقد بالعمى وتوجد في البصر وان كان قد غمض العين او جن عليه الليل
والعلم الحاصل فيه جار مجرى ادراك البصر ورؤيته الاعيان للاشيا وتاخر العلوم عن عين العقل
مدة الصبى الى اوان التمييز او البلوغ يضاهي تاخر الرؤية عن البصر الى اوان اشراق الشمس وفيضان
نورها على المبصرات والقلم الذي به يسطر الله تعالى العلوم على صفحات القلوب يجري مجرى قرص الشمس
وانما لم يحصل العلم في قلب الصبي قبل التمييز لان لوح قلبه لم يتهيا بعد لقبول نقش العلم والقلم
عبارة عن خلق من خلائق الله تعالى جعله سببا لحصول نقش العلوم في قلوب البشر
قال تعالى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم وقلم الله تعالى لا يشبه قلم خلقه كما انه ليس ذاته
من جوهر ولا عرض فالموازنة بين البصيرة الباطنة والبصيرة الظاهرة صحيحة من هذه الوجوه
الا انه لا مناسبة بينهما في الشرف فان البصيرة الباطنة هي عين النفس التي هي اللطيفة المذكورة
وهي كالفارس والبدن كالفرس وعمى الفارس اضر على الفارس من عمى الفرس بل لا نسبة لاحد الضررين
الى الاخر ولموازنة البصيرة الباطنة للبصيرة الظاهرة سماه الله تعالى باسمه فقال جل وعز ما كذب
الفؤاد ما راى سمى ادراك الفؤاد رؤية وكذلك قوله تعالى وكذلك نري ابراهيم ملكوت
السموات والارض وما اراد الله تعالى به الرؤية الظاهرة فان ذلك غير مخصوص بابراهيم عليه السلام
حتى يذكر في معرض الامتنان ولذلك سمي مقابل ادراكه عمى فقال فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى
القلوب التي في الصدور وقال سبحانه ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى واضل سبيلا فهذا بيان
العلم العقلي اما العلوم الدينية وهي المأخوذة بطريق التقليد من الانبياء صلوات الله عليهم وذلك
يحصل بالتعلم لكتاب الله عز وجل وسنة رسوله عليه السلام وفهم معانيها بعد السماع وبه كمال صفة
القلب وبه سلامته عن الادوا والامراض فالعلوم العقلية غير كافية في سلامة القلب وان
كان محتاجا اليها كما ان العقل غير كاف في استدامة اسباب صحة البدن بل يحتاج الى معرفة خواص
الادوية والعقاقير بطريق التعلم من الاطباء اذ مجرد العقل لا يهتدي اليه ولكن لا يمكن فهمه بعد
سماعه الا بالعقل فالداعي الى محض التقليد مع عزل العقل بالكلية جاهل والمكتفي بمجرد العقل
عن انوار القران والسنة مغرور فاياك ان تكون من احد الفريقين وكن جامعا بين الاصلين
فان العلوم العقلية كالاغذية والعلوم الشرعية كالادوية والشخص المريض يستضر بالغذا
متى اهمل الدوا فكذلك امراض القلوب لا يمكن علاجها الا بالادوية المستفادة من الشريعة وهي
وظائف العبادات والاعمال التي ركبها الانبياء عليهم السلام لاصلاح القلوب فمن لا يداوي قلبه
المريض بمعالجات العبادات الشرعية واكتفى بالعلوم العقلية استضر بها كما يستضر المريض
بالغذا وظن من يظن ان العلوم العقلية مناقضة للعلوم الشرعية وان الجمع بينهما غير ممكن

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)